تفسير إبن كثير

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ

وقوله تعالى : (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) أي : الذين لما رأوه في زينته قالوا (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) ، فلما خسف به أصبحوا يقولون : (ويكأن االله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) أي : ليس المال بدال على رضا االله عن صاحبه [وعن عباده] ; فإن االله يعطي ويمنع ، ويضيق ويوسع ، ويخفض ويرفع ، وله الحكمة التامة والحجة البالغة . وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود : " إن االله قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم أرزاقكم وإن االله يعطي المال من يحب ، ومن لا يحب ، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب " .(لولا أن من االله علينا لخسف بنا) أي : لولا لطف االله بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا ، كما خسف به ، لأنا وددنا أن نكون مثله .(ويكأنه لا يفلح الكافرون) يعنون : أنه كان كافرا ، ولا يفلح الكافر عند االله ، لا في الدنيا ولا في الآخرة .وقد اختلف النحاة في معنى قوله تعالى [هاهنا] : (ويكأن) ، فقال

بعضهم : معناها : " ويلك اعلم أن " ، ولكن خففت فقيل : " ويك " ، ودل فتح " أن " على حذف " اعلم " . وهذا القول ضعفه ابن جرير ، والظاهر أنه قوي ، ولا يشكل على ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة " ويكأن " . والكتابة أمر وضعي اصطلاحي ، والمرجع إلى اللفظ العربي ، واالله أعلم .وقيل : معناها : ويكأن ، أي : ألم تر أن . قاله قتادة . وقيل : معناها " وي كأن " ، ففصلها وجعل حرف " وي " للتعجب أو للتنبيه ، و " كأن " بمعنى " أظن وأحسب " . قال ابن جرير : وأقوى الأقوال في هذا قول قتادة : إنها بمعنى : ألم تر أن ، واستشهد بقول الشاعر :سالتاني الطلاق أن رأتاني قل مالي ، وقد جئتماني بنكر ويكأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر